

الفصل الثالث:

مفاهيم الطرق المعرفية: العقل والحس

أولاً: مفاهيم العقل:

١ - مفهوم العقل:

(ع ق ل) أصل واحد، يدلُّ على حُبْسة في الشيء، قال الخليل: العقل نقيض الجهل يقال: عَقَلَ بعقل عقلاً، وجمعه عُقول. ورجل عاقل وقوم عقلاء وعاقلون، ورجل عَقُول إذا كان حسن الفهم وافر العقل، وما له معقول؛ أي عقل. والعاقلة القوم تقسم عليهم الدية في أموالهم حين قتل الخطأ، وهم بنو عم القاتل، والمَعْقَل: الحصن، والصدقة يقال لها عِقَال. قال الأصمعي: عَقَلَ الظبي يَعْقِل عُقُولاً، إذا امتنع في الجبل، وعَقَلَ الطعام بطنه إذا أمسكه. واعتَقِلَ لسان فلان إذا احتبس عن الكلام. والعقل له معانٍ كثيرة، هي: العلم بصفات الأشياء من حسنها وقبحها وكما لها ونقصانها، أو العلم بخير الخيرين وشرّ الشرين، والمعقول ما تعقله في فؤادك، وسمي العقل بذلك لأنه يعقل صاحبه عن اتباع شهواته، وقد ورد لفظ العقل بصيغته تسعاً وأربعين مرّة، واسم العقل لم يرد قط في القرآن الكريم وإنما يوجد ما تصرف منه نحو: "عقلوه" ورد مرّة واحدة، و"تعقلون" و"يعقلون" ستاً وأربعين مرة، "نعقل" و"يعقلها" مرّة واحدة لكل لفظ، فكل الصيغ فعلية.

وورد بصيغة "أفلا تعقلون" في ثلاثة عشر موضعاً، ﴿وَلَهُ اخْتُلِفَ أَلِيلُ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٠]، وقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾

﴿١٧﴾ [النحل: ٦٧]؛ والعقل صفة أكثر منه مصدرًا في القرآن، والدليل هو نفيه: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [المائدة: ٥٨]؛ أي لا يمنعهم عقلهم من القبائح، ولا يردعهم عن الفواحش، وقيل: لا يعقلون ما لهم من ثواب لو استجابوا لله ورسوله. فالنفي لا يعني انتفاء العقل، بل النفي يقع على درجة الاستجابة والامتثال، فهم يفهمون عن الله ورسوله، لكن لا يستجيبون إمّا كبراً أو لعدم اقتناعهم، والحجة قائمة عليهم بالفهم لا بالاعتناع. وسمّي العقل عقلاً لأنه يزم اللسان ويخطمه عن أن يمضي فرطاً في الجهل والخطأ والمضرة كما يعقل البعير. والعقل عند أهل النظر جوهر مجرد عن المادّة في ذاته مقارن لها في فعله، وهو النفس الناطقة التي يشير إليها كلّ واحد بقوله أنا، وقيل: هو نور في القلب يعرف الحقّ والباطل. وهو على أربعة معانٍ: الأول: الوصف الذي يفارق به الإنسان سائر البهائم، والثاني: ما وضع في الطباع من العلم بجواز الجائزات واستحالة المستحيلات. والثالث: علوم تستفاد من التجارب تسمّى عقلاً، والرابع: أنّ منتهى قوّته الغريزيّة إلى أن نقمع الشهوة الداعية إلى اللذة العاجلة، والناس يتفاوتون في هذه الأحوال. فالعقل هو القوّة المتهيئة لقبول وتمييز المعلوم، ويقال للعلم كذلك عقلاً.

٢- مفهوم الحجر:

(ح ج ر) أصل واحد مطرد، وهو المنع والإحاطة على الشيء. فالحَجَرُ حَجَر الإنسان وقد تكسر حاؤه، ويقال: حَجَر الحاكم على السفیه حَجْراً، منعه من التصرف في ماله. والعقل يسمّى حَجْراً لأنه يمنع من إتيان ما لا ينبغي، وسمّي عقلاً تشبيهاً بالعقل. وقد ورد في القرآن الحجر بمعنى العقل مرّة

واحدة في قوله تعالى: ﴿هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ﴾ [الفجر: ٥]، لذي عقل. وذاك أن الأصل في الحجر المنع كما الأصل في العقل، فاجتمعا في معنى الإمساك.

٣- مفهوم النهي:

(ن هي) أصل صحيح يدل على غاية وبلوغ، والنهي العقل لأنه ينهى عن قبيح الفعال، والجمع نهي، وقيل سمي العقل بذلك لأنه ينتهي إلى ما أمر به، ونهي كل شيء غايته والنهاية كالغاية والإنهاء: الإبلاغ. ورجل منهاء: عاقل حسن الرأي فهو نهى ونه من قوم نهين.

ورد اللفظ مجموعاً في موضعين: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَى﴾ [طه: ٥٤] أي لذوي العقول. وخص أولي النهى بذلك لأنهم المتفعلون بها. فحقيقة المتفعلين بآيات الله هذه هم المنتهون، لإدراكهم الأدلة العقلية التي أوردتها الله تعالى حجة عليهم بيقين بعثهم بعد الموت، كما بعث النبات بعد موت الأرض وكما أنشأهم من العدم. فالنهي هي العقول الناهية عن القبائح المنتهية إلى غاية الأوامر الإلهية.

٤- مفهوم القلب:

(ق ل ب) أصلان صحيحان، أحدهما: يدل على خالص الشيء وشريفه، والآخر على رد الشيء من جهة على جهة. فالأول: قلب الإنسان وغيره، سمي لأنه أخلص شيء فيه وأرفعه؛ والثاني: قلبت الثوب قلباً، والقلب: يُقلب الأمور ويحتال لها، وهو الفؤاد أو أخص منه.

ورد لفظ القلب في الإنسان في القرآن مائة واثنين وثلاثين موضعاً على ثلاثة أوجهه، هي: العقل: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ [ق: ٣٧]. والرأي: ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى﴾ [الحشر: ١٤]؛ فالقلب يطلق على المضغة الصنوبرية، سميت بذلك لما فيها من العقل والرأي وسرعة الخواطر والتلون في الأحوال، وهو النفس المدركة للعالمة من الإنسان للمطالب والمعاتب والمعاقب. قال الحكماء حيثما ذكر الله القلب إشارة إلى العقل والعلم، وحيثما ذكر الصدر إشارة إلى سائر القوى من الشهوات والهوى والغضب ونحوها. والقلب يعبر عن المعاني التي تختص به من الروح والعلم والشجاعة والخوف والمرض.

وقد وردت له أوصاف كثيرة في القرآن الكريم، منها: الفظ، الغليظ، السليم، المتكبر، الجبار، المنيب، الآثم، المطمئن، المريض، الربط، الرعب، التقوى، القلب، الاشتمزاز، القفل، السكينة، الرأفة، الرحمة، الوجوف، الصغو، القسوة، الكسب، الألفة، التعمد، العقد، الغل، الشرب، الحسرة. ومن هذه الأوصاف ما يعد أوصافاً علمية مثل: الغفلة، الهداية، الفقه، الطبع، الزيق، العقل، العمى، الختم، الطهارة، التزين، الإيثار، الغلق، الارتياح، النفاق. وأغلب ما ورد من القلب في المعنويات والأخلاق. فورد مفرداً في تسعة عشر موضعاً، ومثنى مرة واحدة، ومائة واثنى عشرة مرة مجموعاً، وجاء في أغلبها دالاً على العقل والرأي الراجح ومصدر المعرفة والفهم والفقه ومحل الإدراك والتمييز، وهو محل الجهل والظن والغفلة والارتياح والشك والطمأنينة والإيمان والإسلام والكفر والنفاق.

٥ - مفهوم اللب:

(ل ب) أصل صحيح يدل على لزوم وثبات، وعلى خلوص وجودة. فالأول أَلَبَّ بالمكان إذا أقام به، يَلُبُّ إلباباً. والتلبية قولك: كَيْبِكَ، قالوا: معناه أنا مقيم على طاعتك. أمّا المعنى الآخر: اللُّبُّ معروف من كل شيء، وهو خالصه وما ينتقى منه. ولذلك سَمِّيَ العقل لباً، ورجل لبيب؛ أي عاقل. واللُّبُّ: القلب والعقل وموضع القلادة من الصدر. وقد ورد بصيغة الجمع فقط في ستة عشر موضعاً، كلّها بمعنى العقل الراجح الذكيّ. فاللب خالص الشيء، ولا يوصف به في القرآن إلا أهل الإيمان الذين هم خاصة عباد الرحمن: ﴿يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ٧﴾ [آل عمران: ٧]. وذوي الألباب اختصوا بصفات هي التقوى والتذكر، فاقترنت التقوى بذوي الألباب في أربعة مواضع، كقوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْفَصَاحِ حَيَّةٌ يَتَأُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ١٣٨﴾ [البقرة: ١٧٩]، ﴿وَنَكَرَوْدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ الْتَقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَتَأُولِي الْأَلْبَابِ ١٣٧﴾ [البقرة: ١٩٧]. واقترنت الذكرى مع أولي الألباب في عشرة مواضع منها: ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ١٣٨﴾ [البقرة: ٢٦٩]، ﴿إِنَّمَا يَذَّكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ١١٩﴾ [الرعد: ١٩]. واقترنت العبرة معه في: ﴿لَقَدْ كُنْتَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [يوسف: ١١١].

وإنّ وظيفة اللب في القرآن الكريم هي التذكير المؤدي إلى التقوى، والعبرة المترتبة عن التذكرة المنتجة للاعتبار والامثال بالتقوى. ولم يرد لفظ اللب في القرآن كلّه إلا مجموعاً دالاً على أنه خاصّة الإنسان، وفائدته، وهو حياته العقلية المتمكّن والاعتبار والتقوى حتى جعل أصحابه خاصّة

الأولياء، فاللب العقل الخالص من الشوائب وخالص المعاني الإنسانية، وقيل هو ما زكّي من العقل فكلّ لب عقل وليس كلّ عقل لباً؛ لذا علقت الأحكام التي لا يدركها إلا ذوو العقول الزكيّة من أولي الألباب.

٦ - مفهوم الفؤاد:

(ف أ د) أصل صحيح يدلّ على حمى وشدة حرارة. فَأَذْتُ اللحم: شويته. والفؤاد، سمّي بذلك لحرارته. وافتأد فلان: أصاب فؤاده الخوف، وهو للقلب مذكّر، فالقلب موجود داخل الفؤاد، والمفأد: الحديدية التي يُفأد بها اللحم. وقد ورد الفؤاد في ستة عشر موضعاً من القرآن الكريم، بمعنى القلب، وقيل: الفؤاد وسط القلب، وقيل: غشاء القلب، واختلف في ترادفهما. قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَهُ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ (٢٣) [الملك: ٢٣]. فالقلب لم يجمع مع قوى المعرفة بل مع الأدوات الأذن والعين، وإن ذكر السمع والبصر فمتفق على أنّ المراد الجارحة لا قوتها. وقد جمع الفؤاد مع غيره في مقام المدح فقط كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (٧٨) [النحل: ٧٨]. والأفئدة جمع فؤاد وأصله القلب ويطلق كثيراً على العقل وهو المراد هنا.

٧ - مفهوم الصدر:

(ص د ر) أصلان صحيحان: أحدهما يدلّ على خلاف الزود، والآخر صدر الإنسان وغيره. فالأول قولهم: صدر عن الماء، أمّا الآخر فالصدر للإنسان والجمع صدور. والصّدْرُ أعلى ومقدم كلّ شيء وأوله وكلّ ما واجهك، وصدور الوادي: أعاليه ومقادمه.

ورد لفظ الصدر بمعنى صدر الإنسان في أربعة وأربعين موضعاً كلها كان فيها محلاً للإرادة والشهوات والإيمان والكفر والعلم والمعرفة. ولم يُرد به الجارحة، وحيثما ذكر الله تعالى القلب فإشارة إلى العقل والعلم، وحيثما ذكر الصدر فإشارة إلى ذلك، وإلى سائر القوى من الشهوة والهوى والغضب والخوف والرعب. ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَرَ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبَ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ (٤٦) [الحج: ٤٦]؛ أي العقول، كما في قوله: ﴿وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (١٥٤) [آل عمران: ١٥٤]، فالتمحيص للقلوب، والتفريق في المبنى والتركيب دليل على افتراق في المعنى لاختلاف الوظيفة، فالصدر مركز الحفظ والذاكرة والإسلام والكفر. والقلوب مراكز العقل والتمييز والتذكير باسترجاع ما في الذاكرة والحافظة التي مقرها الصدر، قال تعالى: ﴿أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ﴾ (١٠) [العنكبوت: ١٠]، وأدّل منها قوله: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ يَبْنِتُ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ [العنكبوت: ٤٩]، وأعطيت للصدر في القرآن من المحفوظات والعقائد، واقترب بالانشراف ﴿وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا﴾ [النحل: ١٠٦]. وقد وصفت الصدر بأنها تخفي وتُكن وتُحْصِر، وهذه الصفات لا تكون إلا للمعارف وعلوم واعتقادات. والصدر محل الوسواس: ﴿الَّذِي يُوسِّسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾ (٥) [الناس: ٥]، فالشيطان لا يوحى إلا بمعارف وظنون ليضل، كذلك من صفات الصدر الضيق والغل، وهو مركز الحاجات، والرغبة، والقلب مركز الرعب. وهو محل الكبر والانشراف والشفاء؛ ووصف القلب بأنه سليم ويمرض، والصدر بالابتلاء والقلب بالتمحيص.

٨- مفهوم الفقه:

(ف ق هـ) أصل واحد صحيح، يدلّ على إدراك الشيء والعلم به، وكلّ علمٍ بشيء فهو فقه. ثمّ اختصّ بكلّ عالم بالحلال والحرام، وغلب على علم الدين لشرفه. فالفقه هو الفهم بالعلم في الصنعة والفطنة والبيان والفهم. وقد ورد في القرآن من مادّة الفقه الفعل لا المصدر في عشرين موضعاً، وهو أخصّ من العلم؛ ﴿قَالُوا يَنْشُعِبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ﴾ [هود: ٩١]؛ أي ما نفهم وجه استدلالك ولم نقتنع بحججك، وإلا لما قامت عليهم الحجة بخطابه؛ فهم أدركوا معنى كلامه وفهموه؛ لكن لم يقتنعوا بأنه أصحّ ممّا عندهم. والحجة تقوم بالفهم لا بالاعتناع. والفقه من أعمال القلب: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٧٩]، ﴿صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [التوبة: ١٢٧]. والتفقه لم يرد إلا للكلام والقول والحديث ﴿وَلَكِنْ لَا يَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤]، ﴿وَأَحْلَلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي﴾ [٢٧] يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴿[طه: ٢٧ - ٢٨]، ﴿قَالَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٧٨]. أمّا في قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ﴾ [التوبة: ١٢٢]، التفقه طلب للفقه الشرعيّ؛ أي التخصّص لمعرفة الأحكام الشرعيّة. فالآية تحث المسلمين على أن يتفرغ أناس منهم؛ لطلب العلم الشرعيّ ويفقهوا أسرارهم، ثمّ يُعلّموا غيرهم، وينذروا قومهم.

٩- مفهوم الفهم:

(ف هـ م) علم الشيء. وعرفه بقلبه، وتفهّمه: فهمه شيئاً بعد شيء، والفهم: تصوّر عميق للمعنى من لفظ المخاطب عند السماع أو الإشارة.

وقد ورد من المادّة الماضي المضعّف في ﴿فَفَهَّمْنَهَا سُلَيْمَنَ وَكُلَّاءَ أَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [الأنبياء: ٧٩]، فَهَّمَهُ: مكّنه من أن يفهم. وقد خصّ الله تعالى سليمان بفهم الحقّ في الواقعة التي شارك في الحكم بها دون داود، فأعطاه من قوّة الفهم ما أدرك به إصابة الحكم بإلهام إلهيّ أو وحي خصّ به، فالفهم سرعة الفطنة وتوقّدها، وقيل: هو هيئة للنفس يتحقّق به ما يكون حسناً وما يكون غير ذلك؛ بتصوّر الشيء من لفظ المخاطب، فهو تصوّر عميق للمعنى من الخطاب عند السمع أو الإشارة. وقيل إدراك خفيّ دقيق؛ لأن الإدراك في الفهم متفاوت وليس كلّ ما يفهم يعلم بل قد يظنّ ويخمن؛ فهو تصوّر المعنى من لفظ المخاطب، ويسبق في مراتب العلم التذكر، ثمّ الذكر، بعدهما يأتي الفهم الذي يليه الفقه.

١٠ - مفهوم الإحاطة:

من حوط (ح و ط) كلمة واحدة، وهو الشيء يطوف بالشيء، من حاطه حوطاً، وحاطه بمعنى: حفظه وصانه وتعهده، والحائط هو الجدار. وأحاط به: علمه، وقد ورد اللفظ بصيغته ثلاثاً وعشرين مرّة في القرآن الكريم على خمسة أوجه، هي: العلم: ﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ﴾ [الجن: ٣٨]؛ ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. والجمع: ﴿وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ١٩]. والإهلاك: ﴿وَأَحْطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ﴾ [البقرة: ٨١]، ﴿وَأُحِيطَ بِشَرِّهِ﴾ [الكهف: ٤٢]. والاحتواء: ﴿أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ [الكهف: ٢٩]، ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ [العنكبوت: ٥٤]. والحفظ: ﴿أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ﴾ [فصلت: ٥٤]. فالإحاطة هي الإحداق بالشيء والاشتغال عليه،

وهو مأخوذ من الفعل الرباعيّ اللازم والثلاثيّ حوط، فمن الرباعيّ ﴿أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ﴾ [النمل: ٢٢]؛ والإحاطة بالأمر علماً: أن يعلم وجوده وحسنه وقدره وكيفيّته وغرضه المقصود به وبإيجاده، وما يكون هو منه وذلك ليس إلا من الله تعالى. قال الله تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾ [يونس: ٣٩] فنفي ذلك عنهم، والله أحاط بكلّ شيء علماً دونهم، فتكذيبهم من عجزهم وجهلهم وضعف حجّتهم في ردّ القرآن، فلو أحاطوا به علماً وفهموه حقّ فهمه لأذعنوا بالتصديق له، وقوله: ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا﴾ [الكهف: ٦٨] تنبيه على أنّ الصبر التام إنما يقع بعد إحاطة بالشيء علماً، وذلك صعب إلا بفيض إلهيّ.

١١ - مفهوم التمحّيص:

من محص (م ح ص) أصل واحد صحيح يدلّ على تخلص شيء وتنقيته. ومحصّه محصاً: خلّصه من كلّ عيب. ومحص الذهب بالنار: أخلّصه مما يشوبه. والتمحّيص: التنقية والاختبار والابتلاء. وقد ورد اللفظ مرّتين ﴿وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧]. ﴿وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٤]. فهو تعالى يمحّص المؤمنين من ذنوبهم وعيوبهم بابتلائهم بالشدائد. والآية الأخرى فكان التمحّيص للقلوب، مصدر المعرفة وذاك بالاختبار؛ فالتمحّيص يقال في إبراز شيء عن ما هو متّصل به، وهو هنا كالتركية والتطهير والفحص، غير أنّ الفحص يقال في إبراز شيء عمّا هو منفصل عنه، والمحص عمّا هو متّصل به.

١٢ - مفهوم التمييز:

من ميز (م ي ز) أصل صحيح يدلّ على تزيُّل شيء من شيء. وميّزته تمييزاً وميزته ميّزاً وامتازوا تميز بعضهم من بعض. فميز الشيء فضل بعضه عن البعض، فهو بمعنى الفرز والعزل.

ورد اللفظ في أربعة مواضع بصيغة الفعل فقط، كلّها بمعنى الفرز والعزل، فالتمييز قوّة عقلية لإدراك الفروق واستيعاب المتشابه. بمعنى أنّ المتكلم يميّز هذا الجنس من سائر الأجناس التي توقع الإبهام. ويبيّن التمييز عند الفقهاء وقت عرفان المضار من المنافع. والتمييز بين المشتبهات نحو ﴿لِيَمِيزَ اللَّهُ أَلْحَيْثَ مِنْ أَلْطَّيِّبِ﴾ [الأنفال: ٣٧]. وفي المختلطات نحو ﴿وَأَمْتَرُوا أَلْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ﴾ [يس: ٥٩].

١٣ - مفهوم التفكير:

(ف ك ر) تردد القلب في الشيء، يقال: تفكّر إذا ردّد قلبه معتبراً. وقيل: إعمال النظر في الشيء؛ ورجلٌ فكّيرٌ: كثيرُ الإقبال على التفكير. وقد ورد لفظ التفكير بصيغته ثمان عشرة مرّة، والتفكّر تصرّف القلب بالنظر في الدلائل فيما يمكن أن يحصل له فيه صورة؛ لذا كان الله تعالى منزهاً عن التفكير في ذاته. ولم يرد في القرآن اللفظ بالمصدر، لكن ما تصرّف منه من أفعال، والتفكّر والتذكّر والتدبّر والتأمل والاستبصار والاعتبار معانٍ متقاربة تجتمع في شيء وتفترق في شيء. وقد نوع القرآن بين الآيات الآمرة بالتفكّر في ميادين شتى كالخلق، من خلق السموات والأرض وخلق ما بينهما وما فيهما: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِسْماً وَقُسُوداً وَعَلَى جُؤُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا

خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَنَكَ ﴿آل عمران: ١٩١﴾. كما دعا إلى التفكر في اختلاف ألوان الناس وتعدد لغاتهم مع أن خلقهم من أصل واحد: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١١﴾﴾ [الروم: ٢١] فجعل الزواج والتناسل وإلقاء المودة بين طرفين مختلفين من الآيات التي يجب التفكر فيها.

١٤ - مفهوم التدبر:

من دبر (د ب ر) أصل واحد، وهو آخر الشيء وخلفه، وتشذ عنه كلمات يسيرة. والتدبر خلاف القبل. والتدبر أن يدبر الإنسان أمره، والتدبر عتق الرجل عبده أو أمته عن دُبر. والتدبر النظر في عاقبة الأمر. والتفكر فيه. وقد ورد لفظ دبر في ستة وأربعين موضعاً على ستة أوجه، منها: الظهور: ﴿فَلَا تُؤَلُّوهُمْ الْأَذْبَارَ ﴿١٥﴾﴾ [الأنفال: ١٥]؛ و﴿وَمَنْ يُؤَلِّمْ يَوْمَئِذٍ دُبْرَهُ﴾ [الأنفال: ١٦]. وأديان الآباء الباطلة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آذَنُوا عَلَىٰ أَذْبَرِهِمْ﴾ [محمد: ٢٥]، وعقيب الشيء: ﴿وَمَنْ آيَل فَسَبِّحْهُ وَأَذْبَر الشُّجُودِ ﴿٤٠﴾﴾ [ق: ٤٠]. والذهاب: ﴿وَالْيَلِ إِذْ أَدْبَرَ ﴿٣٣﴾﴾ [المدثر: ٣٣]. والآخر: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ [الأنعام: ٤٥]؛ أي أصلهم إلى آخرهم. والتفكر: ﴿أَفَلَا يَتَذَبَّرُونَ الْفُرْعَانُ﴾ [النساء: ٨٢]، ﴿أَفَلَا يَتَذَبَّرُونَ الْفُرْعَانُ أَمَرَ عَلَىٰ قُلُوبِ أَقْفَالِهَا ﴿١٢﴾﴾ [محمد: ٢٤]. وتصريف الأمور: ﴿وَمَنْ يُدْبِرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ﴾ [يونس: ٣١]، ﴿يُدْبِرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ﴾ [السجدة: ٥]. والتدبر هو النظر في عواقب الأمور، وتدبر الأمر تأمله، والنظر في أدباره، وما يؤول إليه في عاقبته ومنتهاه، ثم استعمل في كل تأمل. والتدبر في القرآن ورد بصيغتين "يتدبرون" و"يدبروا".

١٥ - مفهوم الذكر:

من ذكر (ذكرك) أصلاً عنهما يتفرع كل الباب. الأول: هو الذكر خلاف الأنثى. والآخر: ذكرت الشيء خلاف نسيته، ثم حصل عليه الذكر باللسان. والذكر: العلاء والشرف، والذكر: الحفظ للشيء، والتذكيرة ما يستذكر به الحاجة، والاستذكار الدراسة والحفظ.

ورد لفظ ذكر باشتقاقاته قرابة مائتين وأربع وسبعين مرة على ثمانية عشر وجهاً، هي: الخبر: ﴿هَذَا ذِكْرٌ مِّنْ مَّعَىٰ وَذِكْرُ مِّنْ قَبْلِي﴾ [الأنبياء: ٢٤] والوحي: ﴿أَلْقَىٰ الذِّكْرَ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا﴾ [القمر: ٢٥]. والقرآن: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]. والتوراة: ﴿فَسَلُّوا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾ [الأنبياء: ٧]. واللوح المحفوظ: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ﴾ [الأنبياء: ١٠٥]. والبيان: ﴿وَالْقُرْآنَ ذِي الذِّكْرِ﴾ [ص: ١]؛ والتفكير: ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ [ص: ٨٧]؛ والصلاة: ﴿فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الجمعة: ٩]. والتوحيد: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي﴾ [طه: ١٢٤]. والشرف: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ [الزخرف: ٤٤]، والموعظة: ﴿فَلَمَّا دَسَوْا مَا دُكِّرُوا بِهِ﴾ [الأنعام: ٤٤]. وإظهار الأمر: ﴿أَذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾ [يوسف: ٤٢]؛ والتذكير بعد البيان: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ دَكَرُوا أَنَّ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [آل عمران: ١٣٥]. والتكلم: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَادْكُرُوا اللَّهَ فِيمَا وَفَعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾ [النساء: ١٠٣]. والعمل الصالح: ﴿فَادْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢]. والحفظ: ﴿حُدُوا مَا آتَيْنَاكُمْ يَحْفَظُوا مَا آتَيْنَاكُمْ﴾ [البقرة: ٦٣]. وقيل: الذكر بمعنى الرسول.

وقد جاء في التصاريف تفسير الذكر على ستة عشر وجهاً في القرآن الكريم وذلك لضرورة تخصيص الدلالة تأدية للمعنى المراد، فقد جاء دالاً على الطاعة والعظة والقرآن والبيان والخبر، وجاء بمعنى التفكر، وجاء من المادة لفظ "مذكر"، وبمعنى العلم في قوله تعالى: ﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ﴾ [غافر: ٤٤]، وبمعنى الدراسة والحفظ في [البقرة: ٦٣]. أما التذكير فهو محاولة استرجاع الصور المحفوظة، وهو بالحقيقة التفات النفس إلى عالمها وتكوين صورة له في الذهن يُشهر بها، وضده الغفلة والنسيان. والتذكر يسبق الذكر، والتفكر والتذكر متقاربان، لأنّ التفكر تأمل في ما علم، والتذكر استحضار للعلم الذي يجب مراعاته بعد الذهول عنه أو غيبته كيما يتفكر فيه، ﴿إِنَّ إِلَٰهَ إِلَٰهِيكَ أَتَقْوَىٰ إِذَا مَسَّهُمْ طَلِيفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠١]. فالتفكر يُحصل العلم، والتذكر يحفظه ويزيده. وكل الصيغ وتراكيب الآيات التي فيها لفظ التذكر تنحصر في بيان أمور العقيدة، والمقارنة بين أهل الإيمان والكفر، والنظر في عواقب الأمور ومحاسبة النفس. وتأتي في الأغلب مرتبطة بأولي الألباب كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَذْكُرُ إِلَّا أُولَٰؤُا۟ الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة: ٢٦٩]، وقوله: ﴿إِنَّمَا يَذْكُرُ أُولَٰؤُا۟ الْأَلْبَابِ﴾ [الرعد: ١٩].

١٦ - مفهوم الحفظ:

(ح ف ظ) أصل واحد يدل على مراعاة الشيء. يقال: حفظت الشيء حفظاً، وحفظ القرآن: استظهره، والله هو الحفيظ: الذي لا يعزب عنه شيء في السموات ولا في الأرض، والملائكة الحفظة: الذين يحصون أعمال العباد من الملائكة. والحفظ نقيض النسيان.

ورد اللفظ باشتقاقاته قرابة أربع وأربعين مرّة على ستة أوجه، هي:

العلم: في قوله تعالى: ﴿يَمَا أَسْتَحْفَظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ﴾ [المائدة: ٤٤]. والصيانة والعفة: ﴿فَالصِّدِّيقُ قَتَبْتُ حَفِظْتُ لِلْعَيْبِ يَمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾ [النساء: ٣٤]. والتعهد والحماية: ﴿وَحَفِظَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ﴾ [الصافات: ٧]. والشفقة: ﴿أَرْسَلَهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعُ وَيَلْعَبُ وَإِنَّا لَهُ لَحَفِظُونَ﴾ [يوسف: ١٢]. والضمان: ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا آخَانًا نَضْكُلْ وَإِنَّا لَهُ لَحَفِظُونَ﴾ [يوسف: ٦٣]. والشهادة: ﴿وَإِنْ عَلَيْكُمْ لِحَفِظِينَ﴾ [١١] ﴿كَرَامًا كَثِيرِينَ﴾ [١١] [الانفطار: ١٠]. فالحفظ ضدّ النسيان، وهو ضبط الشيء في النفس، أو هيئة للنفس التي بها يثبت ما يؤدي إليه الفهم، والحفيظ من أسماء الله تعالى وهو الحافظ؛ فعيل بمعنى فاعل، ﴿قَالَ أَجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْهَا﴾ [يوسف: ٥٥]؛ والحافظة من أسباب قوّة العقل؛ وضعفها ضعف في الذاكرة ونقص في المعرفة؛ والحفظ استحكام المعقول في العقل، يلي الشعور والإدراك ويعقبه التذكّر والذكر في مراتب وصول العلم. وقد ذم الله من يحفظ ما لا يفهم ولا يعي، حتى وصفوا بالحمار يحمل أسفاراً؛ أي يثقل ظهره بكتب لا يدري ما هي، كما أنّ العلم من غير حفظ بناء على جرف هاو، وضعف في مقام الجدال، وقد ذم من يدّعي العلم وهو لا يستوعب منه إلا الشتات؛ فالعلم ما حوى الصدر لا ما ملأ القمطر.

١٧ - مفهوم الوعي:

(وع ي) كلمة تدلّ على ضمّ شيء. ووعيت العلم أعيه وعياً؛ حفظته وجمعه. والوعي: حفظ القلب، والوعي: الحافظ الكيس الفقيه.

ورد باشتقاقاته سبع مرّات على ثلاثة أوجه، هي: الأواني الحافظة:

﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَّتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ﴾ [يوسف: ٧٦].
 والكتمان: ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ﴾ (٢٢) وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾ [الانشقاق: ٢٣].
 والتدبر والتذكر: ﴿لِنَجْمَلَهَا لَكُمْ نَذِيرَةً وَنَعِيماً أَذُنٌ وَنِعَةٌ﴾ (١٢) [الحاقة: ١٢]. فالوحي يأتي بمعنى الجمع والحفظ، وبمعنى الوعاء، الذي يحفظ فيه الحاجيات من ذلك في الآية: ﴿وَجَمَعَ فَأَوْعَى﴾ (٨) [المعارج: ١٨]؛ وجاء بمعنى التفكير والتدبر لما يحفظ في سورة الحاقة: ١٢؛ بمعنى أذن عاقلة لما يقال، حافظة له، فالوحي يجمع بين الحفظ والفهم، وهو أن تحفظ في نفسك الشيء بعد علمه وفهمه.

١٨ - مفهوم الوجدان:

(وج د) يدلّ على أصل واحد، وَجَدْتُ الضالة وَجَدَانًا، ووجدت زيدا كرياً: علمتُ. وللوْجْدان دلالة الارتفاع والظهور؛ وَجَدْتُ، من أفعال القلوب بمعنى علمت ويتعدّى إلى مفعولين. وقد ورد لفظ وجد بصيغته في مائة وستة مواضع من القرآن الكريم، وهو على وجهين: وجدان الضالة: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا﴾ [آل عمران: ٣٧]. وعلم: ﴿وَلَنَجْذِثُنَّهُمْ أَهْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَوٰةٍ﴾ [البقرة: ٩٦]، ﴿قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾ [المائدة: ١٠٤]. ولفظ "وجدنا" من الألفاظ المشتركة التي تدلّ على أكثر من معنى. والوجود أضرب: وجود بإحدى الحواس الخمس، نحو وجدت طعمه أو صوته. ووجود بقوة الشهوة نحو وجدت السبع. ووجود بقوة الغضب كوجود الحزن والسخط. ووجود بوساطة العقل، كمعرفة الله تعالى ومعرفة النبوة، الوجود فبمعنى العلم.

١٩ - مفهوم النسيان:

من نسي (ن س ي) أصلاً صحيحان: يدلّ أحدهما على إغفال الشيء، والثاني: على تركه. فالأول نسيث الشيء إذ لم تذكره، نسياناً؛ ومنه النسيث، والنسيان، وهو ضدّ الحفظ. وقد ورد لفظ النسيان بصيغته خمساً وأربعين مرّة على وجهين: الترك: ﴿فَالْيَوْمَ نَنْسَهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا﴾ [الأعراف: ٥١]. وضدّ الحفظ: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلِ فَنَسَىٰ وَلَمْ يُجِدْ لَهُ عَزْماً﴾ [طه: ١١٥]. وكلّ نسيان من الإنسان ذمه الله تعالى؛ فهو ما كان أصله عن تعمّد، وما عُذِر فيه لم يكن عن تعمّد، وإذا نسب إلى الله تعالى فهو تركه إياهم، مجازاة لهم بتركهم في جهنم من غير رحمة، كما في ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [التوبة: ٦٧]؛ أمّا ما رفع عنه القلم فهو غيبة الشيء عن القلب بحيث يحتاج إلى تحصيل جديد، وقال بعضهم النسيان: زوال الصورة عن القوّة المدركة مع بقائها في الحافظة.

٢٠ - مفهوم السهو:

(س ه و) معظم الباب يدلّ على الغفلة والسكون. فالغفلة، يقال: سَهَوْتُ في الصلاة أَسهُو سَهْواً. فالسهو غفلة يسيرة كما هو في القوّة الحافظة؛ والنسيان زواله عنها كليّة، إلا أنهم يستعملونها بمعنى واحد تسامحاً منهم. وقد ورد لفظ السهو بصيغته ﴿سَاهَوْتُ﴾ مرّتين في قوله تعالى: ﴿قُلِ الْمُتَرَضُّونَ ۙ﴾ [الذاريات: ١١]، و﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ﴾ [٤] الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ [الماعون: ٥]. فالسهو خطأ عن غفلة وهو على ضربين، أحدهما: أن لا يكون من الإنسان جَوَالبه ومولداته، والثاني أن يكون منه مولداته، وبين السهو والنسيان والغفلة تقارب معانٍ مع فروق

بينهما، فالسهو جعل في غفلة القلب عن الشيء بحيث يتنبّه بأدنى تنبيه، أمّا النسيان فزوال الصورة عن القوّة المدركة مع بقائها في الحافظة، كما لا يكون إلا لما علم من قبل ويحتاج على تحصيل جديد.

٢١ - مفهوم الغفلة:

من غفل (غ ف ل) أصل صحيح يدلّ على ترك الشيء سهواً. وربما كان عن عمد، غفلت عن الشيء غفلة وغفولاً؛ إذا تركته ساهياً. وأغفلته إذا تركته على ذكر منك له. والتَّغَاوُلُ والتَّغَفُّلُ: تَعَمُّدُهُ، وَغَفْلَةُ؛ تَغْفِيلاً: ستره. وقد ورد في القرآن باشتقاقاته خمساً وثلاثين مرّة، بمعنى السهو الذي يعتري الإنسان من قلة التَحَفُّظِ والتَّيَقُّظِ. إمّا للطبع عليه، أو لعقاب أو لنقص في الحافظة. كما أنّ الله تعالى وصف نفسه بقوله: ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (البقرة: ٧٤) و[آل عمران: ٩٩]، فالغفلة عدم إدراك الشيء مع وجود ما يقتضيه، وقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ﴾ (المؤمنون: ١٧).

٢٢ - مفهوم الشكّ:

(ش ك) أصل واحد، مشتقّ بعضه من بعض، ويدلّ على التداخل، شككته بالرمح؛ إذا طعنته، ومنه الشكّ الذي هو خلاف اليقين، سمّي بذلك كأنّ الشاكّ شكّ له الأمران في مشكّ واحد، وشكّ الشيء: لصق بعضه ببعض واتّصل. وشكّ عليه الأمر: التبس، وارتاب.

وورد في القرآن الكريم في خمسة عشر موضعاً، ولا أوجه له في كتب النظائر المتوافرة لنا، أمّا معناه فيدور على أنه أخص من الجهل، ويأتي دائماً مع

الحرفين "في" و"من"، نذكر منها قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَعْنُ شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَنُتُوهُ يُقِينَا ۖ﴾ (النساء: ١٥٧). فالشكّ المخالف لليقين هو ما صاحبه حرف المعنى "في"، فإن سبق الحرف "في" اللفظ جاء بعد اللفظ حرف المعنى "من" للتبيين أو للجنس؛ لأنّ الشكّ دائماً يكون بين جزئين أو قضيتين. أمّا إن سبق لفظ الشكّ حرف المعنى "في" فلا نجد الحرف "من". فالأول يكون اسماً، أمّا الثاني فيكون فعلاً، و"في" هنا تحدّد محلّ الشكّ. و"من" في الصورة الأولى تحدّد الحالة النفسية. فالشكّ مخالف لليقين، وقد ورد في القرآن في آيات عدّة، منها: ﴿إِن كُنْتَ فِي شكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَسَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ [يونس: ٩٤]، وكان خلاف الشكّ ﴿لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾ [يونس: ٩٤]، الحقّ الذي لا مرية فيه. و﴿أَنَّهُمْ سَاءَ عَبْدَ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا أَفْئَادًا وَنَسْأَةً لِّفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٌ﴾ (هود: ٦١)؛ أي خيف، وليس كلّ شكٍّ مرتاباً والعكس صحيح. ﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: ١٣]. فهنا اقتضت همزة الاستفهام تقديم المشكوك فيه على لفظ الشكّ مع حذف الحرف "من" لتحديد المشكوك فيه.

٢٣ - مفهوم الريب:

(ري ب) أُصِلَّ يَدْلٌ عَلَى شَكٍّ وَخَوْفٍ، وَالرَّيْبُ مَا رَابَكَ مِنْ أَمْرٍ، وَأَرَبْتُهُ: جَعَلْتُ فِيهِ رَيْبَةً؛ وَرَبْتُهُ: أَوْصَلْتُهَا إِلَيْهِ. وَأَرَابَ الرَّجُلَ صَارَ ذَا رَيْبَةٍ فَهُوَ مُرِيبٌ، وَرَيْبُ الْمُنُونِ حَوَادِثُ الدَّهْرِ.

ورد لفظ الريب باشتقاقاته في سبعة وثلاثين موضعاً على ثلاثة أوجه، هي: الشكّ: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [البقرة: ١]. والحوادث: ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ

تَقَرَّبُ بِهِ رَبِّ الْمُنُونِ ﴿٢٠﴾ [الطور: ٢٨]. والحسرة: ﴿لَا يَزَالُ بُعِثُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ﴾ [التوبة: ١١١]. وكل ما جاء في القرآن من ريب فهو شك إلا ﴿رَبِّ الْمُنُونِ﴾ [الطور: ٢٨]، قال تعالى عن كتابة الدين: ﴿ذَلِكُمْ أَفْسَدُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَاقُومُ لِلشَّهَادَةِ وَأَذِقَ الْآلَ تَرَاتُوبًا﴾ [البقرة: ٢٨١] فالكتابة أعدل وأحفظ وثيقة بين المتدائنين، وهي تدفع الشك بينهما وكذا الخوف؛ لأن سبب الكتابة هو الخوف من ضياع مال الدائن كله أو جزء منه وهذا الخوف متولد عن الشك في المستدين، في العاجل أو الآجل؛ لذا كان أحسم الطرائق هو توثيق المعاملة المالية بينهما بالكتابة والاستشهاد فينقطع الريب. والشك سبب للريب وليس العكس. وهو مبدأ الريب، كما أن العلم مبدأ اليقين. فالريب ما لم يبلغ درجة اليقين وإن ظهر نوعاً ما. ويقال رابني الأمر ولا يقال: شكني. والريب قد يجيء بمعنى القلق والاضطراب والكذب، فالصدق طمأنينة وسكون النفس للأمر، أما الريبة فلا تكون إلا من الكذب، أو ما لم يحدّد الحكم عليه فتولد عن ذلك خوف.

ثانياً: مفاهيم الحس

١ - مفهوم الحس:

(ح س) أصلان: فالأول غلبة الشيء، والثاني حكاية صوت عند توجّع وشبهة. فالأول الحُسُّ: القتل، والحسيس القتل. وأحسست؛ أي علمت بالشيء، والثاني: قولهم حَسَّ. كلمة تقال عند التوجع. وفي القاموس: الحُسُّ: الجلبة، والقتل، والاستئصال، ونفض التراب عن الدابة بالمحسّة. وبالكسر: الحركة، وأن يمر بك قريباً فتسمعه ولا تراه، والحاسوس:

الjasوس. وحواس الأرض: البرد، والبرد، والريح، والجراد، والمواشي.
وأحسست وأحسيت: ظننت ووجدت وأبصرت وعلمت.

ورد لفظ الحس بصيغه ست مرّات في القرآن الكريم على ثلاثة أوجه، هي:
القتل: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ﴾ [آل عمران: ١٥٢].
والإدراك بالحاسة: ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمْ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾ [آل عمران: ٥٢]. والبحث: ﴿بَيْنَى أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوْثَفَ وَإِخْوِهِ﴾ [يوسف: ٨٧].
وأما أحسسته فحقيقته أدركته بحاستي، ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمْ الْكُفْرَ﴾ وقوله تعالى: ﴿هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ﴾ [مريم: ٩٨]؛ والحس المشترك هو القوة التي ترسم فيها صور الجزئيات المحسوسة. والإحساس هو إدراك الشيء، مكتنفاً بالعوارض الغريبة واللواحق المادية مع حضور المادة ونسبة خاصّة بينهما وبين المدرك. ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمْ الْكُفْرَ﴾ [آل عمران: ٥٢] وحسّ الثلاثي له معان ثلاثة، هي: القتل، أو المسح، أو الإلقاء بالحجارة. والإحساس إن كان للحسّ الظاهر فهو المشاهدات، وإن كان للحسّ الباطن فهو الوجدانيات.

٢- مفهوم الشعور:

من شعر، (ش ع ر) أصلان معروفان يدلّ أحدهما على نبات، والآخر على علم وعلم. فالأول: الشَّعْرُ معروف، والجمع أشعار. والواحدة شَعْرَة، والشَّعَارُ الشجر إذا ملأ الأرض. منه: داهية شعراء وداهية وبراء. والباب الآخر: الشَّعَارُ الذي يتنادى به القوم في الحرب ليعرف بعضهم بعضاً. والأصل قولهم شَعَرْتُ بالشيء إذا علمته وفطنت له، وليت شِعْرِي أي ليتني علمت. أصله من الشعر كالدُّرْبَة والفطنة، ويقال سَمِيَ الشاعر بذلك لأنه

يفطن لما لا يفطن له غيره. والشَّعِيرَة واحد الشعائر وهي أعلام الحج وأعماله. والشعور هو العلم والعقل والفهم والدراية والإدراك بالحواس.

ورد لفظ الشعور باشتقاقاته في خمسة وأربعين موضعاً على خمسة أوجه، هي: ما نَمَّا على البشرة: ﴿وَمَنْ أَصَوَّفَهَا وَأَوْبَارَهَا وَأَشْعَارَهَا﴾ [النحل: ٨٠] والصناعة: ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْفَأْوَنُ﴾ [الشعراء: ٢٢٤]، والإدراك: ﴿وَمَا يُشْعِرْكُمُ أَنَّهُ إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [١١٨] [الأنعام: ١٠٩]؛ والكذب: ﴿كَلِ أَفْتَرْتُهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ﴾ [الأنبياء: ٥]. ومعالم الدين: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٥٨]. وقد ورد بدلالة المعرفة بصيغة الفعل فقط، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتَ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ١٥٤]؛ لأنَّ المؤمنين إذا أخبرهم الله تعالى بأنهم أحياء علموا أنهم أحياء، فلا يجوز أن ينفي عنهم العلم، ويجوز أن يقال: ﴿لَا تَشْعُرُونَ﴾ لأنه ليس كل ما علموه يشعرون به، وكم من أمر يقع ولا يحس به ﴿مَنْ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَاتَّسَرَّ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الزمر: ٥٥]، وهذا كله يتضمَّن أصله اللغوي. فالشعر اسم للعلم الدقيق المستشعر أولاً، غير أنَّ قوله تعالى حكاية عن الكفار: ﴿كَلِ أَفْتَرْتُهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ﴾ [الأنبياء: ٥]، حمله المفسرون على أنهم رموه بالشعر المنظوم المقفى، ورموه بالكذب فإنَّ الشعر يعبر به عن الكذب والشاعر الكاذب، ولهذا قال تعالى في وصف عامة الشعراء ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْفَأْوَنُ﴾ [الشعراء: ٢٢٤].

٣- مفهوم الإيجاس:

من وجس، (وج س) كلمة تدلّ على إحساس بشيء، وتسمّع له. تَوَجَّسَ الشيء: أحسَّ به فسمّع له. والوجس: الفرع يقع في القلب، والواجس:

الهاجس، وتوجَّس الطعام: تذوّقه قليلاً.

ورد اللفظ بصيغة الماضي ثلاث مرّات في القرآن الكريم، بمعنى الإحساس بالفرع أو الخوف أو بما يقع في القلب منه فيشعر به ويضمّره ولا يظهره، وقد ورد في [هود: ٧٠] و[طه: ٦٧] و[الذاريات: ٢٨] ﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ كلّها مقرونة بالخوف المضمر، ﴿فَلَمَّا رَأَوْا أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَحَفُّ﴾ [هود: ٧٠]. لأن الهاجس مبتدأ التفكير، ثم يكون الواجس الخاطر.

٤ - مفهوم الإيناس:

من أنس، (أ ن س) أصل واحد، وهو ظهور الشيء، وكلّ شيء خالف طريقة التوحّش، يقال: أنستُ الشيء إذا رأيته أو سمعته. أنسه ضدّ أوحشه، والأنيس: الموانس، وكلّ ما يؤنّس به. وقد ورد فعل أنس سبع مرّات في القرآن الكريم، أربع منها في النار التي أنسها موسى عليه السلام إذ سار بأهله في البرية: ﴿إِذْ رَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا﴾ [طه: ١٠]. والإيناس في تكلم الآيات: الإبصار البين الذي لا شبهة فيه، ومنه "إنسان" لأنه يتبين به الشيء، والإنس لظهورهم، والجنّ لاستتارهم، وقيل هو إبصار ما يؤنّس به. ومن الإيناس بمعنى العلم جاء بصيغة الماضي ﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا﴾ [النساء: ٦]. فالإيناس يأتي بمعنى الرؤية، كما يأتي بمعنى العلم والألفة والاستئذان والإحساس. وقيل سمّي بذلك لأنه يأنس بكلّ ما يألفه، فلا استئناس هو الأنس الحاصل من جهة المجالسة، وهو خلاف الوحشة.

٥ - مفهوم اللمس:

(ل م س) أصل واحد يدلّ على تطلب شيء، تلمّست الشيء، إذا تطلّبتّه بيدك. واللمس أصله باليد ليعرف مَسُّ الشيء، ثمّ كثر ذلك حتى صار كلُّ طالب مُلتَمِساً، ولمّستُ إذا مَسَسْتُ، ولمس الجارية: جامعها، والتمس، وتلَمَّس: تطلّب مرّة بعد أخرى. وقد ورد لفظ اللمس خمس مرات في القرآن الكريم على ثلاثة أوجه، هي: الطلب: ﴿وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلْتَمِسَاتٍ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهْبًا﴾ [الجن: ٨]، ﴿قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا﴾ [الحديد: ١٣]. والتحسّس بالجراحة: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرَاطِينَ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالُوا الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ [الأنعام: ٧]. والجماع: ﴿أَوَلَمْ نَسْمِعْ الْيَنَاءَ﴾ [النساء: ٤٣]، و[المائدة: ٦]، فاللمس إدراك بظاهر البشرة كاللمس، ويُعبّر به عن الطلب، ويُكنّى به وبالملازمة عن الجماع، وقرئ لمستم ولا مستم حملاً على المسّ وعلى الجماع.

٦ - مفهوم اليد:

(ي د) أصل بناء اليد للإنسان وغيره، ويستعار في المنة، فيقال: له عليه يدٌ. ويجمع على الأيادي واليَدُ: القوّة، وقد ورد لفظ اليد باشتقاقاته في مائة وعشرين موضعاً من القرآن الكريم على ستة أوجه، هي: الجراحة: ﴿أَن يُقَتِّلُوا أَوْ يُصَلِّبُوا أَوْ تَقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خَلْفٍ﴾ [المائدة: ١١]. والملك: ﴿إِلَّا أَن يَعْقُوبَ أَوْ يُعْقَبَ أَلَدِي يَدِهِ عَقْدَةُ الْيَكَاظِ﴾ [البقرة: ٢٣٧]، والقوّة: ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدَى وَالْأَبْصَرِ﴾ [ص: ٤٥]. والندم: ﴿وَلَنَأْسَقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ﴾ [الأعراف: ١٤٩]. والكرم والإنعام: ﴿بَلْ يَدَاهُ

مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ﴿٦٤﴾ [المائدة: ٦٤].

فاليد غالب ذلالتها على الجارحة، واستعيرت اليدُ للنعمة والقوة، كما سببت أفعال الإنسان وجرائره كلها إلى اليد على جهة التغليب ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [الحج: ١٠]، وقوله ﴿فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كُنْتُمْ آيْدِيهِمْ﴾، فنسبته إلى أيديهم تنبيه على أنهم اختلقوه ذلك، كنسبة القول إلى أفواههم في قوله عز وجل ﴿ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ [التوبة: ٣٠] تنبيهاً على اختلافهم. كما دلَّت اليد أيضاً على القوة والقدرة والسلطان والجاه والوقار والحفظ والنصر والإحسان، كلها أوصاف لأعمال اليد.

٧- مفهوم المس:

(م س) أصل صحيح واحد يدلّ على جَس الشيء باليد. ومِسَّتْهُ أَمْسَتْ. والممسوس: الذي به مَسٌّ كأن الجَنّ مَسَّتْهُ، والمسوس من الماء: ما نالته الأيدي. وفي القاموس: مِسَّتْهُ أَمْسَتْ مَسًّا ومِسِيًّا ومِسِيئِي. وحاجة مَاسَّة: مهمّة، وقد مَسَّتْ إليه الحاجة. ولا مِساس: لا تَمَسَّ.

ورد لفظ مس باشتقاقاته وصيغته في قرابة واحد وستين موضعاً من القرآن الكريم على أربعة أوجه، هي: الجماع: ﴿ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ﴾ [الأحزاب: ٤٩]، ﴿وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ﴾ [آل عمران: ٤٧]. والإصابة: ﴿مَنْ عَابَا نَا الضَّرَّاءَ وَالسَّرَّاءَ﴾ [الأعراف: ٩٥]، ﴿لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾ [فاطر: ٣٥]. والحبل: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَخْطِئُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾ [البقرة: ٢٧٥]. والتقاء البشرة: ﴿قَالَ

فَأَذْهَبَ فَإِنَّكَ لَكَ فِي الْحَيَوَةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ ﴿طه: ٩٧﴾. فالمس هو التقاء
البشريتين، والمسك باليد، وكني به عن النكاح. وعن الجنون، وعن كل ما
ينال الإنسان من أذى. وجاء في القرآن كناية عن الجماع، بصيغة: "يتماسا"،
"تمسوهن"، "يمسسنه"، والتقاء البشريتين "مساس"، والجنون "المس".

٨- مفهوم السمع:

(س م ع) أصل واحد، وهو إيناس الشيء بالأذن من الناس، وكل ذي
أذن، والأذن وما قر فيها من شيء تسمعه. والسمع قوة إدراك الأصوات،
ويعبر به عن الجارحة والفهم والطاعة.

ورد لفظ السمع بصيغته واشتقاقاته مائة وخمسا وثمانين مرة، على
وجهين: إدراك الأصوات: ﴿فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ ﴿٢﴾ [الإنسان: ٢]، والإيمان
بالقلب: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ ﴿١١﴾ [الأنفال: ٢١]،
فالسمع قوة في الأذن قد تؤدي إلى الفهم، وقد لا يوصل إليه، كما في قوله
تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَبَصَرًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَرُهُمْ وَلَا
أَفْئِدَتُهُمْ﴾ [الأحقاف: ٢٦]. ويعبر عن الأذن والإفهام والطاعة وعن فعل
السمع بالسمع؛ نحو قوله تعالى: ﴿حَتَّمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ﴾ [البقرة: ٧]،
وكل نفي للسمع فهو نفي للاستجابة لا لإدراك الأصوات؛ لأن الثاني تسقط
به الكلفة ولا مقام للحجية على المخاطب الأصم؛ لذا وصف الله تعالى من لا
يستجيب له ولا لأنبيائه بالميت ﴿فَإِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمَعُ الصَّمَّةَ الدُّعَاءَ﴾
[الروم: ٥٢]، فالسمع أربعة أنواع، هي: سمع الإدراك، متعلق بالأصوات،
وسمع الفهم والعقل: متعلق بالمعاني، وسمع الإجابة، وسمع القبول

والانقياد: ويتعدّى بـ "من" و"اللام".

٩ - مفهوم الإنصات:

من نصت (ن ص ت) كلمة واحدة، تدلّ على السكوت، وأنصت لاستماع الحديث، ونصت ينصت. وأنصته: سكت واستمع لحديثه. وقد ورد اللفظ بصيغة الأمر مرتين في القرآن الكريم، هما: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ، وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٤]، ﴿فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَوْ إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ﴾ [الأحقاف: ٢٩]. فآية الأحقاف فيها الأمر بالاستماع والإنصات، والفرق بينهما أنّ الإنصات في الظاهر بترك التحدّث أو الاشتغال بما يشغل عن استماعه، أمّا الاستماع بأن يُلقَى سمعه ويحضر قلبه ويتدبّر ما يستمع إليه، ومن لازم هذين الأمرين حين يتلى كتاب الله ينال خيراً كثيراً وعلماً غزيراً وإيماناً مستمراً متجدّداً؛ لهذا رتب سبحانه حصول الرحمة عليهما. فالإنصات أخصّ من الاستماع، ويكون بتوجيه النفس والفكر والتركيز على شيء واحد للتدبّر فيه.

١٠ - مفهوم الصمم:

من صمّ، (ص م) أصل يدلّ على تضامّ الشيء وزوال الخرق، منه الصَّمَمُ في الأذن، وهو انسداد الأذن وثقل السمع. وقد ورد لفظ الصم بصيغته خمس عشرة مرّة على وجهين: انسداد الأذن: ﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصْمَى وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ﴾ [هود: ٢٤]. وترك الإصغاء إلى الحق: ﴿وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةً فَعَمُوا وَصَمُوا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُوا﴾ [المائدة: ٧١]. فالصمم فقدان حاسة السمع، وبه يوصف من لا يصغي إلى

الحق ولا يقبله، ﴿صُمُّ بَكْمٌ عُمٌّ﴾ [البقرة: ١٨]. وغالباً ما جمع النفي لحاسة السمع؛ فكل صمم في القرآن فهو عن سماع الإيمان، والقرآن خاصّة، والحق، إلا في [الإسراء: ٩٧]، و[هود: ٢٤].

١١ - مفهوم الأذن:

(أذن) أصلان متقاربان في المعنى متباعدان في اللفظ. أحدهما: أُذُنٌ جارحة، والآخر: العلم. وعنهما يتفرّع الباب كلّ، فأما التقارب فبالأذن يقع علم كلّ مسموع، والأذن معروفة، وتقال للرجل السامع من كلّ أحد أذن، والأصل الآخر: العلم والإعلام. تقول العرب: قد أذنت بهذا الأمر؛ أي علمت. وأذنتي فلان أعلمني والمصدر الإذن والإيدان. والأذان وهو اسم التأذين.

ورد لفظ أذن مائة مرة وواحدة، في ثمان عشرة منها كانت بمعنى الأذن الجارحة، ﴿أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنفَ بِالْأَنفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ﴾ [المائدة: ٤٥]، والسماع لكل أحد: ﴿وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنٌ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [التوبة: ٦١]. والمناداة: ﴿قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنَّ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [الأعراف: ٤٤]. والعلم أو الأمر: ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِبَيِّنَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [غافر: ٧٨]. والإذن أصله العلم والسمع، وجاء في القرآن بأكثر من صيغة دالاً على معنى الإعلام والإخبار ﴿وَأَذَّنَ رَسُولُ اللَّهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ﴾ [التوبة: ٣]، والإيدان: هو إيقاع الخبر في الأذن، ويقال: أذنتك بالأمر فأذنت، أعلمتك فعلمت. والأذان والأذن: الإصغاء لما يسمع ويحصل بوساطته كثير من العلم، حتى صار

كالمبدأ فيه أمّا في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ (٧) [إبراهيم: ٧]؛ وقوله: ﴿وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ [الأنعام: ٢٥]، إشارة إلى جهلهم لا إلى عدم سمعهم، فليسوا بصم معطلين عن إدراك الأصوات، بل هم معطلين عن الاستجابة لما يسمعون.

١٢ - مفهوم البصر:

(ب ص ر) أصلان أحدهما العلم بالشيء، يقال: هو بصير به. والبصيرة: البرهان. وأصل ذلك وضوح الشيء. يقال: بصرتُ بالشيء إذا صرت به بصيراً عالماً، وأبصرته إذا رأيته. أمّا الأصل الآخر منه البَصْرُ: وهو أن يضمّ أديم إلى أديم، يخاطن كما تخاط حاشية الثوب، والبَصْرَةُ فالحجارة الرخوة. والبَصْرُ حس العين، والبصيرة عقيدة القلب والفطنة والحجة. واشتَبَصَرَ: استبان، والتَّبَصَّرُ: التأمل والتَّعَرُّفُ. والبصيرة هي تكامل العلم والمعرفة بالشيء.

وقد ورد لفظ البصر بصيغته مائة وخمسين مرّة في القرآن الكريم؛ حيث ورد مصدراً وفعلاً بكلّ تصاريفه، وكان على أربعة أوجه، هي: بصر القلب: ﴿أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعَمَىٰ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ﴾ (٤٢) [يونس: ٤٣]. وبصر العين: ﴿فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ (٢) [الإنسان: ٢]، والحجة: ﴿وَقَدْ كُنْتَ بَصِيرًا﴾ (٢٥) [طه: ١٢٥]؛ والاعتبار: ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ (١١) [الذاريات: ٢١]، ويتعلدّى فعله بالباء ﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ﴾ [طه: ٩٦]؛ أي علمت ما لم يعلموا. والبصيرة في اللغة على ضرب: العليم الخبير بالشيء، ولم يرد بهذا المعنى في القرآن إلا مختصاً بالله تعالى في اثنتين وأربعين آية، اقترن بأسماء وصفات أخرى، هي: السميع: ﴿لَزِيْزُهُ مِنْ ءَابِنَاتٍ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (١) [الإسراء: ١]،

والخبير: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ [فاطر: ٣١]، والأعمال: ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٦٥] فالسمع ربط بالأقوال، والبصر ربط بالأفعال الظاهرة والباطنة، لكن الباطنة غالباً ربطت بالعليم والخبير كما في آية: ﴿وَكُنْزٍ رَبِّكَ بِذُنُوبٍ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ [الإسراء: ١٧].

١٣ - مفهوم الرؤية:

(رأى) أصل يدلّ على نظر وإبصار بعين، أو بصيرة؛ فالرأي: ما يراه الإنسان في الأمر وجمعه آراء، وتراءى: القوم إذا رأى بعضهم بعضاً. والرؤية: النظر بالعين وبالقلب. ورأيتُهُ رُؤيةً ورأياً، والرؤيا ما رأيته في منامك. ورأيتُهُ: أبصرته، وتأتي بمعنى: الظنّ والعلم فتتعدّى إلى مفعولين. تقول: رأيت زيدا خارجاً، أي: ظننت زيدا خارجاً، وبمعنى العلم: رأيت زيدا منطلقاً، والرأي هو الفكرة والاعتقاد.

ورد لفظ الرأي بصيغته واشتقاقاته ثلاثمائة وتسع وعشرين مرة في القرآن الكريم على ستة أوجه، هي: العلم: ﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ [سبأ: ٦]، والمعاينة: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ﴾ [المنافقون: ٤]. والنظر: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ﴾ [النساء: ٥١] والخبير: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ حَاجَّ إِبراهيمَ فِي رِيثِهِ﴾ [البقرة: ٣٥٨]؛ والعبرة: ﴿أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْطَيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ﴾ [النحل: ٧٩]؛ والسمع: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي ءَايَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ [الأنعام: ٦٨].

وأصل الرؤية النظر بالعين والقلب، والرأي مصدر، رأى الشيء يراه رأياً ورؤية، ويفرق بينهما أنّ رأى البصريّة تنصب مفعولاً واحداً، ورأى

القلبية تنصب مفعولين. والرؤيا في النوم، والرؤية في اليقظة، والرأي يعلم بالقلب ولا يُرى بالعين. وقد وردت ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ بمعنى رؤية القلب؛ بمعنى العلم والإدراك كذلك، وقوله: ﴿وَكَذَلِكَ نُرَى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ٧٥]. وقال: ﴿فَسِيرَى اللَّهِ عَلَيْكُمُ﴾ [التوبة: ١٠٥] والوهم نحو ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقُفُوا عَلَى النَّارِ﴾ [الأنعام: ٢٧]. والتفكر ﴿إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ﴾ [الأنفال: ٤٨] وقد يصح الرؤية البصرية. وبالعقل ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾ [النجم: ١١].

١٤ - مفهوم النظر:

(ن ظ ر) أصل صحيح يرجع فروعه إلى معنى واحد، وهو تأمل الشيء ومعانيته، ثم يُستعار ويُتسع فيه، فيقال: نظرت إلى الشيء أنظر إليه إذا عاينته، ونظرتُ؛ أي انتظرتُه، والنَّاظِرُ: العين، والنَّاظِرَانِ: عرقان على حرِّي الأنف. والنَّظَرُ: محرّكة الفكر في الشيء تُقدِّره وتقيسه؛ ونظر إلى الشيء: أبصره، ونظر في الأمر تفكّر فيه، وأحاطه حفظاً وتأملًا.

ورد لفظ نظر بصيغته واشتقاقاته مائة وتسع وثلاثين مرّة على أربعة أوجه، هي: الرحمة: ﴿خَلْدَيْنَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ [آل عمران: ٨٨]. والانتظار: ﴿مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾ [يس: ٤٩]. والاعتبار: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ [الغاشية: ١٧]. والرؤية: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾ [إلى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ] [القيامة: ٢٣]. فالنظر هو الإقبال على الشيء بالبصر، ومن ذلك النظر بالقلب؛ والانتظار: الإقبال على الشيء بالتوقع له. والرؤية وإدراك المرئي، فقد تنظر إلى الشيء ولا تراه، وقد تنظر إليه وتتأمله كأنك تفحصه بنظرك من البصر أو البصيرة.

وأكثر ما جاء من مادّته في القرآن "البصر والبصيرة" لأنه يؤدي إلى التفكير والتدبّر. لكن ورد في مادّته معان أخرى كالانتظار والأنظار ﴿قُلْ أَنْظِرُوا إِنَّا مُنْظِرُونَ﴾ (١٥٨) [الأنعام: ١٥٨]. ومنه قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِلَهِ كَيْفَ خَلَقَتْ﴾ (١٧) [الغاشية: ١٧]. وجاء معنى النظر بالبصيرة في آيات كثيرة، منها: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾ [العنكبوت: ٢٠]، ﴿فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾ (١٧) [آل عمران: ١٣٧]، و[الأنعام: ١١] و[يونس: ١٠١]. وهو هنا تقليب البصيرة لإدراك الشيء ورؤيته، قد يراد به التأمل والفحص وقد يراد به المعرفة الحاصلة بعد الفحص وهو الرويّة.

١٥ - مفهوم المشاهدة:

من شهد، (ش هـ) أصل يدلّ على حضور وعلم وإعلام، يقال: شهد يشهد شهادة، والمشهد: محضر الناس. والشهود: جمع الشاهد، والشاهد: اللسان والملّك. وشهد: بيّن وأعلم لمن الحقّ، وعلى من هو. والشّهد: الشاهد، والأمين في شهادة، والذي لا يغيب عن علمه شيء، والقتيل في سبيل الله لأن ملائكة الرحمة تشهده أو تشهد له، والشهادة: الخبر القاطع. ورد لفظ شهد بصيغة واشتقاقاته مائة وستين مرة على سبعة أوجه، هي: الشهيد بالبلاغ: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ (٤١) [النساء: ٤١]. والملّك الحافظ: ﴿وَحَدَّثَ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ (٦١) [ق: ٢١]. وأمة محمد ﷺ: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣]. والقتيل في سبيل الله: ﴿مَنْ أَلْتَمَسَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءَ﴾ [النساء: ٦٩]. والحاضر: ﴿قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَوْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا﴾ (٧٢) [النساء: ٧٢].

[النساء: ٧٢] والشاهد المبين للحق: ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَىٰ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ [الطلاق: ٢].
والشركاء: ﴿وَأَدْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٣]. وأصل الشهادة في
اللغة من الحضور والشهود، والمعينة، كقوله تعالى: ﴿وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ
شُهُودٌ﴾ [البروج: ٧]؛ وتكون الشهادة بالبصر أو البصيرة، والشهيد هو
المحتضر؛ سمّي بذلك لحضور الملائكة إياه. والشاهد غير الحاضر؛ لأن
الشاهد يلزمه العلم بما يشهد عليه على غير الحاضر.

١٦ - مفهوم العمى:

العين والميم وحرف العلة أصل واحد يدلّ على ستر وتغطية. العمى:
ذهاب البصر من العينين، ورجل أعمى، وامرأة عمياء، وقوم عمون.
ويقولون في هذا المعنى: ما أعماه، ولا يقولون ذلك في عمى البصر. وقد ورد
لفظ عمى بصيغته واشتقاقاته ثلاثاً وثلاثين مرة في القرآن الكريم على ثلاثة
أوجه، هي: عمى القلب: ﴿فَإِنَّمَا لَا نَعْمَى الْأَبْصَرُ وَلَكِن نَّعْمَى الْقُلُوبَ الَّتِي فِي
الْصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦]، ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ﴾ [فاطر: ١٩]. وعمى
البصر: ﴿أَن جَاءَهُ الْأَعْمَى﴾ [عبس: ٢]، ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ﴾ [النور: ٦١].
وأعمى عن الحجة: ﴿فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٢].

١٧ - مفهوم العين:

(ع ي ن) أصل واحد، يدلّ على عضو، يبصر وينظر. قال الخليل: العَيْنُ
الناظرة لكلّ ذي بصر، وتجمع على أعْيُنٌ وعُيُونٌ وأَعْيَانٌ، ومن الباب: العَيْنُ
الذي تبعثه يتجسس الخبر، والجارية النابعة من عيون الماء، ولقيته عَيْنَانًا:
معينة لم يشكّ في رؤيته إياه. والعَيْنُ بالكسر: بقر الوحش، والأَعْيُنُ: ثوره.

ورد لفظ العين بصيغه خمساً وستين مرّة على ثلاثة أوجه، هي:

الجارحة: ﴿كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأَى الْعَيْنَ﴾ [آل عمران: ١٣]، ﴿وَأَيَّضَتْ
عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزَنِ﴾ [يوسف: ٨٤]. ومنبع الماء: ﴿فَقُلْنَا أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ
فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ [البقرة: ٦٠]. والحفظ والرعاية: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ
مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ [طه: ٣٩]. وتطلق على الباصرة ﴿وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ﴾
[المائدة: ٤٥]، وفي قوله تعالى: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ [طه: ٣٩].